



## من دلالات مصطلح "الحرف" في التراث اللساناني العربي

محمد ولدالدي

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة يحيى فارسالمدية - المدية - الجزائر

oulddali.mohamed@yahoo.com

### الملخص-

ما شاع عند بعض الباحثين المستشرقين، ومن تبعهم من العرب، أن اللسانيين العرب القدامى، لم يكونوا يُفرّقون - في دراسة اللغة العربية - بين الوجه المنطوق والوجه المكتوب، كما أنهم لم يُفرّقوا بين الوحدة الصوتية وبين الصوت، كما تُفرّق اللسانيات الحديثة، مستدلّين على ذلك بإطلاق القدماء مصطلح "الحرف" على ذينك المفهومين، وعلى الرمز الخطى المكتوب في آنٍ واحد. غير أن الرجوع إلى مظان البحث اللسانى في تراثنا يُثبت خلاف ذلك، فقد عرف اللسانيون العرب القدماء تمييزاً واضحـاً بين هذه المفاهيم، بصورة لا تختلف كثيراً عمـا عرفـته اللسانيات الحديثة، وإطلاق مصطلح "الحرف" على تلك المفاهيم، ما هو إلا اشتراك لهذه المفاهيم في مصطلح واحد.

**المصطلحات المفتاحية:** الوحدة الصوتية، الصوت، الحرف، المنطوق، المكتوب.

### Abstract-

It is prevalent among some Orientalist researchers, and who follows them from the Arabs, that ancient Arab linguists did not distinguish, in their studies of Arabic language, between the spoken and the written form. Also, at their claim, ancient Arab linguists did not differentiate between phonological and phonetic units (Phoneme Vs Sound). They base their judgment on the idea that ancient Arab linguists used one term (which is "character" (**Harf**) to designate not only these two different concepts (Phoneme & Sound), but rather to denominate a third concept (**Grapheme**) which belongs to the written aspect of language.

However, the return to « real » Arabic heritage proves otherwise; Ancient Arabs have, clearly, distinguished between these concepts. Their use of term "character" (Harf) to denote these different concepts is only homonymous.

Key terms: **Phonological unit, Sound, Phoneme, Spoken form, Written form.**

#### - مقدمة -

يرى بعض الباحثين في اللسانيات العربية عموماً، وفي حقل الصوتيات بصفة خاصة أنَّ الصوتيين العرب - عند دراستهم أصوات اللغة العربية- لم يُفرقوا بين الوجه المنطوق، وبين الوجه المكتوب، كما أنهم لم يفرقوا بين الحرف باعتباره كياناً مجرداً، وبين الصوت المنجز في الواقع أثناء الكلام، ودليلهم على ذلك هو إطلاق اللسانيين العرب مصطلح الحرف على الصوت تارة، وعلى الرمز الخطى تارة أخرى. ومن هؤلاء الباحثين نذكر - على سبيل المثال - الدكتور تمام حسان الذي قال : "... ومن الواضح أن سببويه - مع تفريقيه بين أصول الحروف وفروعها - لم يكن يُفرق بين اصطلاحي "الحرف" و"الصوت"، على نحو ما يُفرق علم اللغة الحديث بين اصطلاحي: (phoneme) (sound) أو allophone (الحرف)، فالحرف لديه يشمل ذلك كله..."<sup>1</sup>.

ويتبين من خلال استقراء هذه الآراء أنَّ أصل هذه الفكرة يعود إلى ما كتبه بعض المستشرقين، وتبعهم في ذلك بعض الباحثين العرب، وهذا ما يتبيَّن من قول الدكتور خليل إبراهيم العطية: "... يُراد بأصوات اللغة العربية حروفها، وهو مصطلحٌ درج عليه علماء العربية، وقد نعى فريق من المستشرقين على سببويه وسواء من علماء العرب استخدامهم (الحرف)، الذي يُتَّخذ تعبيراً عن الرمز المكتوب، ولما يُسمع أيضاً، وهذا - على رأيهما - مُجانبةٌ للدقة، ومع ما يبدو على الرعيل الأول من علماء العربية من عدم التفريق بين

<sup>1</sup>= تمام حسان- اللغة العربية: معناها ومبناها، ص: 57.

(الحرف) و(الصوت)، على نحو ما يُفرّق الدرس الصوتي الحديث بين (phoneme) و (sound) أو (allophone)، فالحرف لديهم يشمل ذلك كله...<sup>1</sup>. ثم أضاف قائلاً : "... ومهما يكن من أمر، فليس العرب الأوائل وحدهم خلطوا بين (الحرف) و (الصوت)، فقد ظلَّ كثيرون من العلماء الأوروبيين إلى عهد قريب يسلكون المسلكَ نفسه..."<sup>2</sup>.

وهذا الرأي نجده - أيضاً - عند الدكتور عبدالعزيز الصيغ، الذي قال: "... فالحرف - إذن - مصطلح لدى علماء العربية للرمز الكتابي، والصوت اللغوي، ونظراً لأنَّ اللغات جميعها لا تنطبق كتابتها على لفظها، بسبب التغيير المستمر في أصوات هذه اللغات، فإن الحرف في العربية هو رمز كتابي للصوت فإذا استُعمل في معنى الصوت، فإن السبب يعود إلى عدم التفريق بين الرمز الكتابي، واللفظ أو الصوت، وهو ما تشرك فيه جميع اللغات قديماً وحديثاً، عدا أنَّ الدرس اللغوي الحديث - بسبب تطور الدراسات الصوتية في العصر الحديث - يُفرّق بين الرمز والصوت، أي بين الحرف والصوت..."<sup>3</sup>.

هذا الرأي الذي تكرر عند الكثير من الباحثين جعلنا نطرح التساؤل الآتي : هل فرق الصوتيون العرب القدامى بوضوح - في دراستهم لغة العربية - بين ما يعود إلى الوجه المنطوق، وبين ما يعود إلى الوجه المكتوب في اللغة العربية ؟ وهل كانوا على دراية بالفرق بين الصوت اللغوي، وبين الرمز الخطبي، الذي يمثله من جهة، وبين الوحدة الصوتية ووجوه تحقيقها في الكلام من جهة أخرى ؟ وما هي أهم دلالات مصطلح الحرف في تراثنا اللسانى العربي ؟ سنتتبع في هذا المقال تفريق البحث الصوتي الحديث بين الوجه المنطوق والوجه المكتوب في دراسة اللغة، ثم تفريقه بين مفهومي الوحدة الصوتية والصوت، ثم نتناول نظرة

<sup>1</sup>= خليل إبراهيم العطية - في البحث الصوتي عند العرب، ص:31.

<sup>2</sup>= نفس المرجع السابق، ص: 31.

<sup>3</sup>= عبد العزيز الصيغ - المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص: 219.

اللسانيين العرب القدامى إلى هذه المسائل، لنخلص في الأخير إلى أهم المفاهيم، التي يطلق عليها مصطلح "الحرف" في تراثنا اللساني العربي.

**أولاً: الوجه المنطوق والوجه المكتوب عند اللسانيين المحدثين:** يرى اللسانيون المحدثون أن اللغة في الأصل هي ظاهرة منطقية مسموعة، يحكمها على مستوى النطق - نظام خاص، هو النظام الصوتي لتلك اللغة، أما الرموز الخطية التي نستعملها في الكتابة، فما هي إلا محاولة لثبت الوجه المنطوق للكلام، خشية زواله بمجرد النطق به، وهذه الرموز الخطية تخضع لنظام خاص بها، هو نظام الكتابة الخاص بتلك اللغة. ومن هنا فهم يميّزون بين وجهين في اللغة: **الوجه المنطوق** وهو: "صورة اللغة المستعملة في التخاطب اليومي عند الاتصال الشفهي، في مقابل الوجه المكتوب".<sup>1</sup> ويسمى أصغر عنصر في الوجه المنطوق للغة - عندهم - بالفونيم (le phonème) أو الوحدة الصوتية، إذا قصدوا ذلك المفهوم المجرد، الذي تجتمع تحته كل التأديات الفرعية، التي تنتمي إلى العنصر الصوتي الواحد، والتي يُسمى كل منها (le son) أو (le phone).<sup>2</sup> أما الوجه المكتوب فهو: "مجموع الأشكال الخطية الخاصة، التي نستعملها أثناء الكتابة".<sup>3</sup> أو هو" نظام من العلامات الخطية، التي يمكن أن تنوب عن الوجه المنطوق القابل للزوال، من أجل ثبيت وحفظ الخطاب والاتصال عن بُعد".<sup>3</sup> وُسمى أصغر وحدة مجردة في الوجه المكتوب بالـ (grapheme)، أما صور تحقيق هذه الوحدة في واقع الكتابة مثل الحروف الصغيرة: (minuscule) والحراف

Jean Dubois (& all.) Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage; p : =<sup>1</sup>  
.345

. Ibid ,p : 164=<sup>2</sup>

<sup>3</sup>= R. Galisson ; D. Coste \_ Dictionnaire de didactique des langues ;p :176.

الكبيرة أو حروف التاج: (majuscule) والحروف المترتبة: (cursive) والحروف المنفصلة: (script) فُسْمِي<sup>1</sup>.

ويتعين على اللسانى أن يكون على دراية تامة بهذا التفريق، لكي لا يلتبس عنده أحد الجانبين بالأخر، قال الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح: "... ينبغي للمبتدئ الذي يخوض في هذا العلم - لأول مرة - أن ينتبه إلى التباس خطير جداً، ربما أفسد عليه كل المعلومات، التي سيحصل عليها فيما بعد، وهو عدم الفرق بين الحروف الصوتية segments sonores ()، والحروف الخطية segments graphique ()، وهو الفرق بين الصوت اللغوى، وبين ما يقوم مقامه ويمثله من الرموز الخطية، فالأول هو الأصل، لأن الكتابة - كما قال العرب - تابعة للفظ، لأنها رموز له، والصوت اللغوى هو الذي بنيت عليه الكتابة الهجائية، فكان يجب أن تُناسبه مُناسبة تامة...".<sup>2</sup> وبذلك يتوجّب على اللسانى - عند التحليل - أن يتعامل مع أصوات اللغة، لامع الرموز الخطية التي تمثلها، إلا إذا كانت هذه الأخيرة موضوعاً لدراسته في حالات خاصة.

غير أن اللسانيين لاحظوا أن الكتابات الألفبائية لمعظم اللغات - وبدرجات متفاوتة - لا تمثل النطق تمثيلاً دقيقاً، فهناك تفاوتٌ جليٌّ بين ما يُنطق، وبين ما يُكتب، إذ تظهر في الكتابة رموزٌ خطية، يقتضيها نظام الكتابة، ولكنها لا تُنطق، كما أن هناك أصواتاً تُنطَق ولا تُكتب. ومن هنا فكروا في وضع الكتابة الصوتية العالمية، وهي: "استعمال رموز خاصة لتمثيل الأصوات اللغوية تمثيلاً دقيقاً...".<sup>3</sup> وهذه الكتابة صالحة لتمثيل لغات العالم، وهي نوعان:

<sup>1</sup>= يُنظر: عبد الرحمن الحاج صالح - قاموس اللسانيات (مخضوط) ص: 4, 31.

<sup>2</sup>= عبد الرحمن الحاج صالح - بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص: 50.

<sup>3</sup>= سامي عياد حنا وزميلاه - معجم اللسانيات الحديثة: إنكليزي عربي، ص: 94.

كتابة صوتية واسعة، تمثل الوحدات الصوتية للغة، وكتابة صوتية ضيقـة، تمثل الوجوه الصوتية أو الفروع، التي تدرج تحت الوحدة الصوتية الواحدة.<sup>1</sup>.

ثانياً: الوحدة الصوتية والصوت عند الصوتين الغربيين: يُفرقُ الصوتين

الغربيون - وخاصة أصحاب "مدرسة براج" - بين مفهومي: **الفونيم** (le phonème)، **والصوت اللغوي المحقق في الواقع الكلام** (le son) أو (l'allophone)، فالفونيم هو "...الوحدة الصوتية الدنيا في التمثيل الصوتي لخطاب ما، غير القابلة للتقطيع، المحددة بمجموعة من الصفات التمييزية..."<sup>2</sup>، وعرفه بودوان دو كورتناي (Baudouin de Courtenay) بأنه: "المعادل النفسي (الذهني) للصوت اللغوي"<sup>3</sup>. وبذلك فالفونيم أو الوحدة الصوتية "...ليست في ذاتها صوتا، إنما هي كيان مجرد، فحرف الجيم مثلا في العربية هو جملة الصفات الذاتية التي يتحدد بها، ويتميز بها عن غيره..."<sup>4</sup>. أما الصوت فيُطلق على " كل التحقيقات المحسوسة للوحدة الصوتية (الفونيم) المتنوعة تبعاً لليساق الصوتي، أو للمتكلم، أو للشروط العامة للكلام..."<sup>5</sup>. وهذا التمييز ناتج - كما يرى الباحثون - عن فصل "سوسور" بين اللسان باعتباره نظاماً، وبين الكلام باعتباره تأدبة لذلك النظام<sup>6</sup>. وبذلك تنتمي الوحدة الصوتية إلى اللسان، في حين ينتمي الصوت إلى الكلام.

<sup>1</sup>= نفس المرجع السابق، ص: 94، 67 - 95.

<sup>2</sup>= Jean Dubois (& all.) Dictionnaire de linguistique et de science du langage; p : 359.

<sup>3</sup>= N.S.Troubetzkoy-Principes de Phonologie, traduit par J. Cantineau, p; 41.

<sup>4</sup>= عبد الرحمن الحاج صالح - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج: 2، ص: 243.

<sup>5</sup>= Jean Dubois (& all.) – Dictionnaire de linguistique et de science du langage; p : 359.

<sup>6</sup>= عبد الرحمن الحاج صالح - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج: 2، ص: 243.

ويتبين مما سبق أن الفوئيمات أو الوحدات الصوتية في أية لغة، هي وحدات مجردة، يكون عددها محدوداً، ولها وظيفة تمييزية بين دوال تلك اللغة، لأن استبدال إحداها بالأخرى يؤدي إلى الانتقال من معنى إلى معنى آخر، مثل استبدال القاف دالاً في كلمتي: "قام" و"دام" أو استبدال الـ (b) في كلمتي (pas) و(bas)<sup>1</sup>. والعلم الذي يدرسها هو علم الأصوات الوظيفي أو الصوتيات الوظيفية (la phonologie). أما الأصوات فهي قطعٌ مادية محسوسة، يمكن إدراكها بحاسة السمع، وتسجيلها بواسطة الأجهزة الخاصة، واختبارها في المخابر الصوتية، وبذلك فهي غير محدودة، والعلم الذي يدرسها هو علم الأصوات (phonétique la).

ثالثاً: **اللفظ والكتابة عند اللسانين العرب القدماء:** عندما نعود إلى مصادر التراث العربي، وخاصة في مجال الصوتيات العربية، نجد أن اللسانين العرب يُفرّقون بصورة واضحة بين مجال النطق، الذي يُسمُّونه أحياناً اللفظ، وبين مجال الكتابة، الذي يُطلقون عليه لفظ الكتاب (مصدراً للفعل كَتَبَ) أو الخط، ويجعلون النطق أصلاً، والكتابة فرعاً عنه، وهذا عند المتقدمين منهم والمتاخرين على حد سواء، فمن المتقدمين نذكر - على سبيل المثال لا الحصر- مكي بن أبي طالب (ت: 437هـ)، الذي قال - بعد أن ذكر حروف اللغة العربية التسعة والعشرين - "... وَكُلُّ الْحُرُوفِ الْمُذَكُورَةِ لَهُ صُورَةٌ فِي الْخَطِّ، يُعرَفُ الْحُرْفُ بِهَا اصْطِلَاحًا مُتَّفِقًا عَلَيْهِ..."<sup>2</sup>. فقد بينَ أن وظيفة الرموز الخطية هي تمثيل الحروف المنطقية، وأنها ناتجة عن اصطلاح مُتَّفِقٍ عليه بين مُسْتَعْمِلي الكتابة. كما أنهم يقدّمون غالباً الوجه المنطوق على الوجه المكتوب، باعتباره أصلاً، وهو ما نجده عند الجاحظ (ت: 255هـ)، عندما تحدث عن أدلة المعاني

<sup>1</sup>= ينظر: - مصطفى حركات - الصوتيات والфонولوجيا، ص: 24, 27.

<sup>2</sup>= مكي بن أبي طالب - الرعاية، ص: 95.

فقال: "... وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظٍ وغير لفظٍ خمسةُ أشياء لا تنقص ولا تزيد : أولها اللّفظ، ثم الإشارة، ثم العَقْدُ، ثم الخط، ثم الحال التي هي نصيّبُه، والنّصيّبة هي الحال الدالة، التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تَتَصَرّ عن تلك الدلالات...".<sup>1</sup> فقد جعل الجاحظ اللّفظ في المنزلة الأولى، وأهم ما يُبيّن عن المعاني، ثم ذكر الإشارة، كأنْ يُشير المتكلّم بجراحة من جوارحه، كاليد أو الرأس أو العين إلى معنى من المعاني، وقدّيما قالوا : رُب إشارةً أفصح من عبارة. ثم العَقْدُ أي الحساب، لأنّ الحاسب كان يعتقدُ أطرافاً أصابعه أثناء العَدّ، ثم ذكر الخط وهو الكتابة أو التدوين، ثم ذكر النّصيّبة التي هي هيئة الشيء، وحالته التي هو عليها، وقد قالوا: رُبَّ حالٍ أفصحُ من مقال. وبذلك فاللّفظ مُقدَّم على الخط عند الجاحظ، وعند غيره من اللسانيين العرب، باعتباره الأصل. وهذا الاختلاف بين الوضعين وضّحه أيضًا علي بن سيده الأندلسي (ت: 458هـ) بقوله: "... وعلى ذلك اختلفتُ أقلام ذوي اللغات، كما اختلفت أنفسُ الأصوات المترنّبة على مذاهبهم في المواقف، واختلفت الأشكال المرسومة، على حدِّ اختلاف الأصوات الموضوعة...".<sup>2</sup> ونجدُهم في سياقات كثيرة يقابلون بين المصطلحين، للدلالة على اختلاف المفهومين، قال ابن قتيبة (ت: 276هـ): "... وإذا أمرتَ من مثل: "وَعَيْتَ الْحَدِيثَ"، و"وَقَيْشَكَ بِنْفَسِي"، و"وَشَيْتَ التَّوْبَ زِدْتَ هَاءَ فِي الْلَّفْظِ إِذَا وَقْتَ، وَهَاءَ فِي الْكِتَابِ، فَتَكْتُبُ عَهْ كَلَامِيْ"، و"قَهْ زَيْدَا بِنْفَسِكَ" و"شَهْ تَوْبِكَ"، لأنَّه لا تكون الكلمة على حرفٍ واحدٍ...".<sup>3</sup>

ومن المتأخرین الذين بیّنوا علاقة الوجه المنطوق بالوجه المكتوب في اللغة العلّامة عبد الرحمن بن خلدون (ت: 808هـ)، الذي عرَّف الكتابة وجعلها في المرتبة الثانية بعد اللّفظ (النطق)، فقال: "... وهي رُسُومٌ وأشكالٌ حرفية، تدل

<sup>1</sup>= الجاحظ - البيان والتبيين، ج: 1، ص: 76.

<sup>2</sup>= ابن سيده - المخصص، ج: 1، ص: 5.

<sup>3</sup>= ابن قتيبة - أدب الكاتب، ص: 210.

على الكلمات المسموعة، الدلالة على معاني النَّفَس، فهو ثانٍ رُتبة في الدلالة اللغوية...<sup>1</sup>. ثم بين ابن خلدون بعد ذلك أن نظام الحروف المنطقية (النظام الصوتي للغة)، ونظام الحروف المكتوبة (نظام الكتابة) كلاهما وضعٌ خاص، يختلف من لغة إلى أخرى، تبعاً لاختلاف الاصطلاح، فقال: "...وليس الأهم كلُّها متساوية في النطق بتلك الحروف، فقد يكون لأُمّةٍ من الحروف ما ليس لأُمّةٍ أخرى ... ثم إنَّ أهل الكتاب من العرب اصطلحوا في الدلالة على حروفهم المسموعة بأوضاع حروفٍ مكتوبة، مُتميزةٌ بأشخاصها، كوضع ألف وباء وجيم وراء وطاء ... وإذا عرَض لهم الحرف الذي ليس من حروف لغتهم، بقي مُهملًا عن الدلالة الكتابية، مُغفلًا من البيان، وربما يرسمه بعض الكُتاب بشكل الحرف الذي يكتنِفه من لغتنا قبله أو بعده، وليس بكافي في الدلالة، بل هو تغيير للحرف من أصله...<sup>2</sup>. ويتبين من قول ابن خلدون: "حروف مسموعة" في مقابل "حروف مكتوبة" أنه يضع في الحسبان الفرق بين مستوى المنطوق وبين مستوى المكتوب، عند دراسة اللغة وتحليل ظواهرها. غير أن الملفت للنظر هو أن ابن خلدون - كغيره من علماء اللغة العربية - يُطلق مصطلح "حروف" على المفهومين معاً: على الصوت اللغوي، وعلى الرمز الخطى.

وقد خلصوا بعد ذلك إلى تعريف كلٍّ من اللفظ والكتابة، فقالوا: "...اللفظ صوت يعتمد على المخارج من حرفٍ فصاعداً...<sup>3</sup>. أو هو... ما يتلفظ به الإنسان أو في حكمه، مُهملًا كان أو مُستعملًا...<sup>4</sup>. كما عرَفوا الخط بأنه:

<sup>1</sup>= ابن خلدون - المقدمة، ص: 432.

<sup>2</sup>= نفس المصدر السابق، ص: 42، 43.

<sup>3</sup>= التهانوي - الكشاف، ج: 4، ص: 79.

<sup>4</sup>= الشريفي الجرجاني - التعريفات، ص: 203.

"تصوير اللفظ بحروف هجائه"<sup>1</sup>. وأدركوا أن كلاً من اللفظ والكتابة له ضوابطه الخاصة لأنه وضع خاص، إذ ليس كل ما هو موجود في اللفظ يظهر في الكتابة، كما أنه ليس كل ما يكتب خطأً يظهر نطقاً، وقد يتطابقان. فمن الزيادة التي تظهر في الكتابة، زيادة الواو في اسم العلم "عُمُرٌ" للتفريق بينه وبين اسم "عُمَرٌ"، قبل أن تظهر علامات الشكل المعروفة في عصرنا هذا، ومن النقص حذف الألف التي بعد الهاء في كلمة "هذا"، لغاية اقتضاها نظام الكتابة، ومن التطابق بين النطق والكتابة قولنا: "زيد".

وهذا ما بينه اللسانيون العرب القدماء، المتقدمون منهم والتأخرون على حد سواء، قال ابن قتيبة (ت: 276هـ): "... الكُتابُ يزيدون في كتابة الحرف ما ليس في وزنه، ليحصلوا بالزيادة بينه وبين المشبه له، ويُسقطون من الحرف ما هو في وزنه، استخفافاً واستغفاء بما أبقي عما ألقى، إذا كان في الكلام دليل على ما يحذفون من الكلمة...".<sup>2</sup> وقال الجاريري (ت: 746هـ) مُتحدثاً عن الخط: "... فإنه ليس جارياً على اللفظ، فإنه قد يُحذف من الكتابة ما يثبت في اللفظ، وقد يُزاد في الكتابة ما لم يُتَأْفَظ به...".<sup>3</sup>

ومن هذه النصوص يتضح بجلاء أن اللسانيين العرب أدركوا تماماً الإدراك الفرق بين الوجه المنطوق وبين الوجه المكتوب، لا في اللغة العربية وحدها، بل في لغات أخرى كانوا يعرفونها، كما أدركوا أن العلاقة بين هذين الوجهين هي علاقة أصلية وفرعية، فالوجه المنطوق هو الأصل والوجه المكتوب فرع عليه، وأن كلاً منها وضع قائم بذاته، له ضوابطه الخاصة به، وهذا خلافاً لما ذهب إليه بعض الباحثين، الذين أوردنا آرائهم في مقدمة هذا المقال. وقد أطلق

<sup>1</sup>= نفس المصدر السابق، ص: 103. وانظر: الرضي الاسترابادي - شرح الشافية، ج: 3، ص: 214.

<sup>2</sup>= ابن قتيبة - أدب الكاتب، ص: 182.

<sup>3</sup>= الجاريري - شرح الشافية، ج: 1، ص: 371.

اللسانيون العرب قد يما مصطلح "حرف" على الصوت المنطوق، وعلى الرمز الخطى على سبيل الاشتراك، لأن كلاً منها طرفٌ في بابه، فالحرف طرفٌ في الكلمة المنطوقة، لأنَّه قطعة صوتية منها، والحرف طرفٌ في الكلمة المكتوبة، لأنَّه أحد رموزها الخطية، ومن المعانى اللغوية لكلمة "حرف" - كما سنرى - الطرف والناحية والشقّ والحافة.<sup>1</sup>

رابعاً: الوحدة الصوتية والصوت عند اللسانيين العرب القدامى: مثلاً فرقُ اللسانيون العرب بين جانبي النطق الكتابة في تحليلاتهم اللسانية، عرَفوا أيضاً التفريق بين مفهومي الوحدة الصوتية، والصوت المادي الحقق في الكلام، وهو ما نجده كذلك عند المتقدمين منهم والمتاخرين على حد سواء. فمِمَّا نجده عند المتقدمين تمييز سيبويه (ت: 180هـ) بين الحروف الأصول والحراف الفروع بقوله: "هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها، وأحوال مجھورها ومهموسها، واحتلافها. فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً...".<sup>2</sup> ثم عدَّها من أول حرف وهو الهمزة إلى آخر حرف وهو الواو. ومن خلال كلام سيبويه نفهم أنه يقصد بالحروف الأصول الوحدات أو العناصر الصوتية، التي بُني عليها كلام العرب، وتعود إليها كل التفرعات الأدائية بدليل أنه ضبط عدَّها، وبين أنها مختلفةٌ متمايزةٌ فيما بينها، مما يدل على إدراك سيبويه للوظيفة التمييزية لهذه الوحدات الصوتية، التي سماها "حروفًا" كذلك، وهذا ما فهمه من جاء بعده من العلماء حقَّ الفهم، مثل ابن سينا (ت: 428هـ)، عندما عرَف الحرف بقوله: "... والحرف هيئَةٌ للصوت عارضةٌ له، يتميَّز بها عن صوت آخرٍ مثله في الحدة والنَّقلِ، تميِّزاً في المسموع...".<sup>3</sup> قال الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح - في تعليقه على كلام ابن سينا - "... هذا التحديد

<sup>1</sup>= ابن منظور - لسان العرب، ج: 2، مادة (ح، حرف)، ص: 62 وما بعدها.

<sup>2</sup>= سيبويه - الكتاب، ج: 4، ص: 431.

<sup>3</sup>= ابن سينا - أسباب حدوث الحروف، ص: 60.

يؤكد أن وظيفة الحروف في الخطاب هي التمييز بين المعاني، بتمايزها بعضها عن بعض...<sup>1</sup>. وقد أدرك هذه الحقيقة أيضاً علماء القراءات ومنهم مكي بن أبي طالب (ت: 437هـ) حين قال: "... فلولا اختلاف صفات الحروف ومخارجها، وأحكامها وطبعها التي خلقها الله - جَلَ ذِكْرُه - عليهما ما فُهم الكلام، ولا علم معنى الخطاب، ول كانت الأصوات ممتدةً، لا تفهم من مخرج واحدٍ وعلى صفة واحدة، كأصوات البهائم...".<sup>2</sup>

ومعنى ذلك أننا إذا استبدلنا حرفاً من هذه الحروف الأصول تغير المعنى، مثل استبدال الغين بالهاء في: نَفَمْ / فَهَمْ، الذي يؤدي إلى التحول من معنى إلى معنى آخر. وهذه الحروف الأصول عند سيبويه، هي التي سماها ابن جني "حروف المعجم"، وسماها غيره "حروف المباني"، قال ابن جني: "... اعلم أن أصول حروف المعجم عند الكافة تسعةً وعشرون حرفاً، فأولها ألف وآخرها الياء...".<sup>3</sup> وهذه الحروف الأصول هي التي يعطى لكل حرف منها رمزٌ خطٌّ في مستوى الكتابة، لأن الكتابة الألفبائية تمثل الحروف الأصول باعتبارها معدودة، ولا تمثل الفروع باعتبارها كثيرة وغير معدودة، وهذا من باب الاقتصاد في عدد رموز الكتابة، وهو مبدأ من مبادئ وضع الألفبائيات في كل اللغات.

وأما الفروع عند اللسانين العرب، فهي ما يتفرع عن تلك الأصول من تأدياتٍ مختلفة ومتعددة وهي عُدُولٌ خفيفٌ عن الأصل، لأن هذه التنوعات لا تخرج عن الملامح العامة للحرف، قال سيبويه: "... وتكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هُنْ فروع، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يُؤخذ بها وَتُسْتَحْسَنُ في قراءة القرآن والأشعار، وهي النون الخفيفة، والهمزة التي بينَ بينَ، والألف التي تُمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي تكون

<sup>1</sup>= عبد الرحمن الحاج صالح - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج:2، ص: 178.

<sup>2</sup>= مكي بن أبي طالب - الرعاية، ص: 143.

<sup>3</sup>= ابن جني - سر الصناعة، ج:1، ص: 55.

كالزاي، وألف التفخيم يعني بلغة الحجاز في قولهم: الصلاة والزكاة والحياة ... وهذه الحروف التي تتممُّها اثنين وأربعين، جيدها ورديتها، أصلها التسعة والعشرون، لا تتبَّين إلا بال مشافهة...<sup>1</sup>.

فهذه الفروع التي أطلق عليها سيبويه مصطلح "حرف" أيضا هي - كما يظهر من أمثلته - تأديات مختلفة للحروف الأصول، بدليل أن الانتقال من فرع إلى فرع، لا يترتب عليه تغيير في المعنى، فلا يتغير المعنى مثلاً في الانتقال من الهمزة المحققة في: (يُؤمِنُ) إلى الهمزة المخففة في: (يُومِنُ)، ولا يتغير المعنى في الانتقال من اللام المفخمة في لفظ الجلالة (الله) إلى اللام المرققة في سياق صوتي آخر للكلمة نفسها كما في: (للله)، لأنهما فرعان أو تأديتان لأصل واحد، هو حرف اللام. فهذه الفروع إذن مُتَبَّقةٌ من الحروف الأصول، ولكنها عرفت في الاستعمال نوعاً من العدول عن الأصل، جعلها تختلف تأدياتها وتتنوع فيما بينها، دون أن تفقد صلتها بالأصل. قال الدكتور غانم قدوري الحمد: "...وقول سيبويه إن الحروف الفرعية لا تتبَّين إلا بال مشافهة يشير إلى إدراك علماء العربية أن هذه الأصوات تنوع مَوْقِعٍ أو لَهَجَيٍّ لأصوات العربية وأنها لا تؤدي إلى تغيير معاني المفردات، ومن ثم لم يُخصَّص لها في الكتابة الهجائية رموز مستقلة...<sup>2</sup>. وقد وضَّح ابن يعيش (ت: 643هـ) سبب تسميتها بالفروع بقوله: "... وإنما كانت هذه الحروف فروعًا، لأنهنَّ الحروفُ التي ذكرناها لا غيرُهنَّ، ولكنَّ أَرْزَلَنَّ عن مُعْتَمَدِهِنَّ، فتغَيَّرْتُ جُرُوسُهُنَّ...".<sup>3</sup> هذا على مستوى النطق، أما على مستوى الكتابة، فإن هذه الفروع لا تُسجِّلُها الكتابة العادية، أو لا يضبطُها الخط، لأنَّه موضوع لتمثيل الحروف الأصول لا غير، ولهذا قال سيبويه: "لا تتبَّين إلا بال مشافهة". ومن هنا وَضَعَ لها النحاة مثل الخليل بن أحمد، وعلماء القراءات -

<sup>1</sup>= سيبويه - الكتاب، ج: 4، ص: 432.

<sup>2</sup>= غانم قدوري الحمد - المدخل إلى علم أصوات العربية، ص: 73.

<sup>3</sup>= ابن يعيش - شرح المفصل، ج: 10، ص: 126.

في رسم المصحف - علاماتٍ خاصة تُشير إليها، وهي أشبه بالكتابية الصوتية الحديثة مثل: ترُك رسم صورة الهمزة المخففة، وإثباته في الهمزة المحققة (قرأ - قرا)، للدلالة على كييفيتين في تأدية هذا الحرف، وكذلك وضع نقطة باللون الأحمر فوق الحرف الحامل للهمزة - عند علماء القراءات - للدلالة على كيفية التخفيف، ونقطة باللون الأصفر للدلالة على كيفية التحقيق.<sup>1</sup>

هذا وقد بيَّن أستاذنا عبد الرحمن الحاج صالح أن هذه الفروع يُسمِّيها الجاحظ "مخارج"، جمع مَخْرَج، بمعنى الخروج، فهو مصدر ميمي للفعل أَخْرَج، لا بمعنى مكان أو موضع الخروج.<sup>2</sup> قال الجاحظ: "...فأما اللثغة التي هي على الشين المعمَّقة، فذلك شيء لا يُصوَّرُ الخط، لأنَّه ليس من الحروف المعروفة، وإنما هو مَخْرَجٌ من المخارج، والمخارج لا تُحصى ولا يُوقَفُ عليها، وكذلك القول في حروفٍ كثيرة من حروف لغات العجم..."<sup>3</sup> ثم علق الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح على قول الجاحظ السابق بقوله: "...فهذه ملاحظاتٌ تُطابق ما يقوله العلماء المحدثون في علم الفونولوجيا، فهم يُميِّزون بين الفونيم، وبين التنوُّع من الأصوات، التي يُؤدي بها الناطقون هذا الفونيم الواحد في لغة معينة..."<sup>4</sup>.

ومما يدل أيضًا على تفريق اللسانيين العرب بين مفهومي الوحدة الصوتية المجردة وبين الأصوات التي تتفرع عنها، أنهم قد يستعملون مصطلح "الحرف" بمعنى الفونيم إلى جانب مصطلح "الصوت"، بمعنى التأدية الفرعية في سياق واحد، وهذا ما نجده عند ابن يعيش (ت: 643هـ) في قوله: "... والشَّدَّةُ أَنْ

<sup>1</sup>= عبد الرحمن الحاج صالح - السمع اللغوي العلمي ومفهوم الفصاحة، ص: 393  
394. وانظر: أبي عمرو الداني - المحكم في نقط المصاحف، ص: 90 - 100.

<sup>2</sup>= عبد الرحمن الحاج صالح - السمع اللغوي ومفهوم الفصاحة، ص: 191، هامش: 40.

<sup>3</sup>= الجاحظ - البيان والتبيين، ج: 1، ص: 34.

<sup>4</sup>= عبد الرحمن الحاج صالح - السمع اللغوي ومفهوم الفصاحة، ص: 191.

يَتَحَصِّر صوتُ الحرفِ في مَخْرَجِهِ فَلَا يَجْرِي، وَالرَّخَاوَةُ بِخَلَافِهِ...<sup>1</sup>. فِي قَوْلِهِ: "صوتُ الحرفِ" دَلِيلٌ عَلَى وُجُودِ مَفْهُومَيْنِ، هُمَا: الْأَصْلُ (الحرفُ) وَالْفَرعُ (الصوت)، وَإِنْ كَانُوا قدْ أَطْلَقُوهُ عَلَيْهِمَا مَصْطَلْحَ "الْحِرْفَ" فِي سِيَاقَاتٍ أُخْرَى، كَمَا أَطْلَقُوهُ عَلَى مَفَاهِيمٍ أُخْرَى سُنْرَى أَهْمَهُهَا فِيمَا يَلِيهِ.

خَامِسًا: مَصْطَلْحُ "الْحِرْفَ" وَتَعْدُدُ الْمَفَاهِيمِ عِنْدَ الْلُّسَانِيِّينَ الْعَرَبِ: لَا حَظَنَا سَابِقًا أَنْ مَصْطَلْحَ "الْحِرْفَ" عِنْدَ الْلُّسَانِيِّينَ الْعَرَبِ يَدُلُّ - بِالاشْتِراكِ - عَلَى عَدَةِ مَفَاهِيمٍ، يَدُلُّ عَلَى الْوَحْدَةِ الصَّوْتِيَّةِ وَعَلَى الرَّمْزِ الْخَطِّيِّ، وَعَلَى الصَّوْتِ الْمَحْسُوسِ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ هَذَا الاشْتِراكُ الْاَصْطَلَاحِيُّ عِنْدَهُمْ قَدْ نَصَّ عَلَيْهِ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ قَدِيمًاً وَحَدِيثًاً. فَمِنَ الْقَدِيمَاءِ نَذَكِرُ تَقْيَيَ الدِّينَ أَحْمَدَ بْنَ تَيْمِيَّةَ (ت: 872هـ)، الَّذِي قَالَ: "...وَأَيْضًا فَلْفَظُ الْحُرُوفِ مُجْمَلٌ، يُرَادُ بِهِ الْحُرُوفُ الْمَنْتَوْقَةُ الْمَسْمُوَّةُ الَّتِي هِي مَبْنَانِ الْكَلَامِ، وَيُرَادُ بِهِ الْحُرُوفُ الْمَكْتُوبَةُ، وَيُرَادُ بِهِ الْحُرُوفُ الْمَتَخَيَّلَةُ فِي النَّفْسِ...".<sup>2</sup>

وَمِنَ الْمَحْدَثِيْنَ الَّذِينَ ذَكَرُوا مَسَأَلَةَ اشْتِراكِ مَصْطَلْحِ "حِرْفٌ" فِي الْدَّلَالَةِ عَلَى عَدَةِ مَفَاهِيمٍ الْأَسْتَاذُ عَبْدُ الرَّحْمَانِ الْحَاجِ صَالِحٌ، عِنْدَمَا قَالَ: "...وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ هُوَ اسْتِعْمَالُ سَيِّبُوِيَّهُ لِلْفَظَةِ "حِرْفٌ" لِلْدَّلَالَةِ عَلَى أَصْوَاتِ الْلِّغَةِ، وَصُورِهَا الْكِتَابِيَّةِ - وَهِيَ عَنَاصِرُ غَيْرِ دَالَّةٍ - وَكَذَلِكَ لِلْدَّلَالَةِ عَلَى الْكَلْمَةِ، وَهِيَ عَنْصَرٌ مِنَ الْعَنَاصِرِ الدَّالَّةِ...".<sup>3</sup> وَسَنَحَاوِلُ فِي مَا يَلِيهِ - بَعْدَ أَنْ نَتَعَرَّفَ عَلَى الْمَعْنَى الْلُّغُوِيِّ - أَنْ نَحْصُرَ أَهْمَمَ الْمَفَاهِيمِ، الَّتِي يَدُلُّ عَلَيْهَا هَذَا الْمَصْطَلِحُ عِنْدَهُمْ.

**1 = المعنى اللغوي:** جاء في لسان العرب: "... وَالْحِرْفُ فِي الْأَصْلِ الْطَّرْفُ وَالْجَانِبُ... وَحَرْفُ الرَّأْسِ شِقَّاهُ، وَحَرْفُ السَّفِينَةِ وَالْجَبَلِ: جَانِبُهُمَا، وَالْجَمْعُ

<sup>1</sup>= ابن يعيش- شرح المفصل، ج: 10، ص: 457.

<sup>2</sup>= ابن تيمية- مجموع الفتاوى، مج: 12، ص: 69. وانظر أيضًا:- ثلاثة كتب في الحروف للخليل وابن السكيت والرازي، ص: 147.

<sup>3</sup>= عبد الرحمن الحاج صالح- منطق العرب في علوم اللسان، ص: 70.

أحرفٌ وحروف، وحرفه... الجوهرى: حرف كُلْ شيءٍ طرفةً وشفيره وحده، ومنه حرف الجبل وهو أعلى المحدد... وحرف الشيء ناحيته، فلان على حرف من أمره أي ناحية منه... إذا رأى شيئاً لا يعجبه عدل عنه، وفي التنزيل العزيز (ومن الناس مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ)، أي إذا لم يَرَ مَا يُحِبُّ انقلب على وجهه، قيل: هو أن يعبده على السراء دون الضراء...<sup>1</sup> فالمعني اللغوي لما كان من مادة (حرف) هو الطرفة والجانب، أو الشق والناحية، فحرف كُلْ شيءٍ طرفةً وناحيته<sup>2</sup>.

## 2 = من المعاني الاصطلاحية : استعمل مصطلح "الحرف" في تراثنا ليدل

على مفاهيم مختلفة سنعرض لأهمها فيما يلي:

أ: الحرف بمعنى القراءة القرائية، أو أحد وجوهها: وهذا ما نجده عند علماء القراءات خاصة، فقد استعملوا "الحرف" بمعنى القراءة تارة، وبمعنى الوجه من القراءة تارة أخرى، فمن استعمالهم "الحرف" بمعنى "القراءة" ما نجده عند مكي بن أبي طالب (ت: 437هـ) في قوله: "...فَإِنَّمَا قَوْلَ النَّاسِ: قَرَا فَلَانَ بِالْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ، فَمَعْنَاهُ أَنَّ قَرَاءَةَ كُلِّ إِمَامٍ تُسَمَّى حِرْفًا، كَمَا يُقَالُ: قَرَا بِحِرْفِ نَافِعٍ، وَبِحِرْفِ أَبِي، وَبِحِرْفِ ابْنِ مُسَعُودٍ، وَكَذَلِكَ قَرَاءَةٌ كُلِّ إِمَامٍ تُسَمَّى حِرْفًا..."<sup>3</sup>. وقال ابن جني (ت: 392هـ): "...وَمِنْ هَذَا قِيلَ: فَلَانٌ يَقْرَأُ بِحِرْفِ أَبِي عَمْرُو وَغَيْرِهِ مِنَ الْقُرَاءِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحِرْفَ حُدُّ مَا بَيْنَ الْقَرَاءَتَيْنِ وَجَهَتُهُ وَنَاحِيَتُهُ..."<sup>4</sup>. ومن استعمالهم مصطلح "الحرف" بمعنى "الوجه من القراءة" قول ابن القاصح (ت: 801هـ): "...وَالْمَرَادُ بِالْحِرْفِ هُنَا مَا وَقَعَ الْاِخْتِلَافُ فِيهِ بَيْنَ الْقَرَاءَ

<sup>1</sup>= ابن منظور - لسان العرب، ج: 2، مادة (حرف)، ص: 62 وما بعدها.

<sup>2</sup>= ابن جني - سر صناعة الإعراب، ج: 1، ص: 28. وانظر: الكفوبي - الكليات، ص: 393.

<sup>3</sup>= مكي بن أبي طالب - الإبانة، ص: 41، وانظر: عبد العلي المسؤول - معجم مصطلحات علم القراءات القرائية، ص: 171.

<sup>4</sup>= ابن جني - سر الصناعة، ج: 1، ص: 29.

من كَلِمَ القرآن، سواء كان حرفًا في اصطلاح النحويين، أم اسمًا أم فعلًا...<sup>1</sup>. وقال ابن منظور: "...وَكُلُّ كَلْمَةٍ تُقْرَأُ عَلَى الوجوهِ مِنَ الْقُرْآنِ تُسَمَّى حِرْفًا...".<sup>2</sup>.

**ب: الحرف بمعنى الكلمة أو العنصر الدال:** وهذا ما نجده عند النحاة خاصة، قال سيبويه (ت:180هـ) : "...هذا بابُ ما يجري – مما يكون ظرفاً – هذا المجرى، وذلك قوله: يوم الجمعة ألقاك فيه، وأقل يوم لا ألقاك فيه، وأقل يوم لا أصوم فيه... فصارت هذه الأحرف، ترفع بالابتداء كارتفاع عبد الله...".<sup>3</sup> فالحرف هنا بمعنى الكلمات أو الألفاظ الدالة على معنى إفرادي، بدليل أن سيبويه أطلق هذا المصطلح على كلمة "يوم"، وهي من الأسماء. كما أطلقه أيضاً على حرف المعنى، باعتباره عنصراً دالاً أيضاً، قال : "...وذلك أن من الحروف حروفاً لا يُذَكَّرُ بعدها إلَّا الفعل، ولا يكون الذي يليها غيره، مُظْهِرًا أو مُضْمِنَّا، فمِمَّا لا يليه الفعل إلَّا مُظْهَرًا : قد، وسوف، ولما، ونحوهن...".<sup>4</sup>

**ج: الحرف بمعنى الأداة أو حرف المعنى:** وهذا ما نجده عند النحاة المتأخرين خاصة، وهو ما نقله ابن منظور في قوله : "...والحرف الأداة التي تُسَمَّى الرابطة، لأنها تربط الاسم بالاسم، والفعل بالفعل، كـ: عن وعلى ونحوهما، قال الأزهري: كُلُّ كَلْمَةٍ بُنِيَتْ أَدَاءً عَارِيَةً فِي الْكَلَامِ، لِتَفْرِقَةِ الْمَعَانِي وَاسْمَهَا حِرْفٌ، وَإِنْ كَانَ بِنَوَاهِهَا بِحِرْفٍ أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ مَثَلُ: حَتَّى، وَهُلُّ، وَبِلُّ، وَلَعَلَّ...".<sup>5</sup> وقال الكَفَوي (ت:1094هـ) عن إطلاق مصطلح حرف على حرف المعنى: "...وإطلاق

<sup>1</sup>= ابن القاصح - سراج القارئ المبتدئ، ص: 14.

<sup>2</sup>= ابن منظور- لسان العرب، ج: 2، مادة (ح، ر، ف)، ص: 62.

<sup>3</sup>= سيبويه- الكتاب، ج: 1، ص: 84.

<sup>4</sup>= نفس المصدر السابق، ج: 1، ص: 98.

<sup>5</sup>= ابن منظور- لسان العرب، ج: 2، مادة (ح، ر، ف)، ص: 62 و ما بعدها.

الحرف على ما يُقابل الاسم والفعل عُرْفٌ جديد...<sup>1</sup>. أي لم يكن معروفاً عند النحاة المتقدمين.

وهذا ما ذهب إليه أستاذنا عبد الرحمن الحاج صالح، عندما ذكر أن سيبويه أطلق مصطلح "حرف" على أقل عنصر لغوي دال على معنى (الكلمة)، أو أقل عنصر لغوي مما لا يدل على معنى (حرف المبنى)، ولم يطلق هذا المصطلح على حرف المعنى. وبين أن عبارة سيبويه في بداية كتابه: "... فالكلِمُ اسْمٌ وَفَعْلٌ وَحْرَفٌ، جَاءَ لِمَعْنَى لَيْسَ بِاسْمٍ وَلَا فَعْلًا..."<sup>2</sup>، التي اختصرها النحاة المتأخرُون في عبارة: "الكلام اسم و فعل و حرف"<sup>3</sup>، هي عبارة فهمَتْ على غير وجهها، الذي قصدَه سيبويه، قال: "... وعلى هذا فاختصار هذه الجملة المصدرة في الكتاب على يد النحاة الذين ألقوا المختصرات (ابتداء من القرن الرابع) في قولهم: "الكلام اسم و فعل و حرف" هو تحريف خطير. كما قلنا ، بل واجحاف، لأن سيبويه لم يُسمِّ هذا القسم الثالث من الكلم حرفاً، أي لم يُخصص هذا اللفظ كتسمية لحرف المعنى، لأن الحرف عنده هو أقلُّ ما يدل على معنى وهو الكلمة، أو أقل ما تبني عليه الكلمة، مما لا يدل على معنى...".<sup>4</sup>.

ثم بين أستاذنا أن المراد من المعنى في قول سيبويه السابق، ليس هو المعنى المعجمي، الذي تفيده الكلمة كالدلالة على المسمى (إذا كانت اسمًا) أو الدلالة على الحدث (إذا كانت فعلًا)، بل هو معناها النحوی فقط مثل: الاستفهام والنفي والتعریف وغيرها، قال: "... يريد سيبويه من المعنى هنا، لا المعنى المطلق، أي ما يدل عليه اللفظ من مدلول أيًّا كان، بل المدلول النحوی فقط، ويختلف بذلك عن المدلول، الذي يختص به الاسم والفعل (وهما المسمى

<sup>1</sup>= الكفوبي - الكليات، ص: 393 - 394.

<sup>2</sup>= سيبويه - الكتاب، ج: 1، ص: 12.

<sup>3</sup>= ابن هشام - شرح القطر، ص: 14.

<sup>4</sup>= عبد الرحمن الحاج صالح - منطق العرب في علوم اللسان، ص: 70، هامش: 124.

والحدث )، فهذا الحرف يدل على المعرفة أو النكرة أو الاستفهام أو النفي أو الاستقبال أو التوكيد، وغير ذلك، فالمعنى الذي يجيء له هذا الحرف – عند سيبويه- هو من هذا القبيل، ولا يجيء إلا له..."<sup>1</sup>.

والسبب في إيراد سيبويه لهذه العبارة الاحترازية - كما يوضح الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح - هو أن بعض الأسماء والأفعال، تدل على معانٍ نحوية تماماً مثل حروف المعنى، كدلالة : "متى" على الاستفهام، ودلالة "ليس" على النفي، قال: "... وقد تأتي بعض الأسماء، وبعض الأفعال للدلالة على معنى من معاني النحو، أي على ما يدل عليه هذا الحرف، ويُضيف سيبويه عند تحديد لحرف المعنى هذا الاستدراك - كما رأينا - "وليس باسم ولا فعل لهذا السبب، وذلك مثل الأسماء البنية التي ذكرناها ( أين ومتى مثلاً )، فهذه أسماء، لأنها تقع في موقع الاسم، إلا أنَّ لها دوراً مثل دور هذا الحرف، أي تدل على معنى من معاني النحو، وكذلك هي الأفعال الناسخة، فلها دور حرف المعنى أيضاً..."<sup>2</sup>.

د: الحرف بمعنى الصوت المقطَّع أو العنصر الذي يتَّالِف منه الكلام: قال سيبويه: "... وإذا أردت أن تلفظ بحروف المعجم قَصَرْتَ وأسْكَنْتَ، لأنك لست تريد أن تجعلها أسماء ولكنك أردت أن تُقطِّع حروف الاسم، فجاءت كأنها أصوات يُصوَّتُ بها، إلا أنك تقف عندها، لأنها بمنزلة : عِهْ..."<sup>3</sup>. وهكذا إذا قلنا: "با وتا وثَا" بالمد، فنحن ننطق اسم الحرف، ولا نعني النطق بالحرف في حد ذاته، فإذا قلنا: "ابْ" بالقصر والإسكان قصدنا التَّهْجي، أي النطق. فالمراد بالحروف عند سيبويه، العناصر غير الدالة التي تُبني منها الكلم. وقال ابن جني شارحاً سبب تسمية الأصوات بالحروف: "... ومن هنا سُمِّيت حروف المعجم حروفاً، وذلك أن

<sup>1</sup>= نفس المرجع السابق، ص: 71.

<sup>2</sup>= نفس المرجع السابق، ص: 71.

<sup>3</sup>= سيبويه- الكتاب، ج: 3، ص: 265.

الحرف حَدَّ مُنْقَطِعَ الصوت، وغَایَتُهُ وطَرْفُهُ، لَأَنَّهَا جَهَاتٌ لِلْكَلْمِ وَنَوْاهٍ، كَحِروفِ الشَّيْءِ وَجَهَاتِهِ الْمَحْدِقَةِ بِهِ...<sup>1</sup>.

وإطلاق مصطلح الحروف على العناصر التي تُبْنِي منْهَا الكلمة (حروف المبني) في المجال الصوتي هو الأصل لأنهم - حينئذ - يستعملون المصطلح وحده، دون تقييده بلفظة أو بعبارة، بينما إطلاقه على الوجه الأدائي أو على الرمز الخطبي - كَمَا سَنَرَى لاحقاً - يكون غالباً بتقييده بلفظة أو بعبارة. ومصطلح الحرف هنا يطابق مصطلح الوحدة الصوتية أو "الفونيـم" عند الغربيـين في الدلالة على المفهوم ذاته، قال الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح: "... فالحرف في الوضع هو جنس من الأصوات، وليس صوتاً محصلاً معييناً، فالجيم كعنصر لغوي له وظيفة، وهي أن تتمايز معاني الكلم بوجوده أو عدمه، وهو عنصر صوري، ويؤديه المتكلمون بكيفيات مختلفة، وكلُّ كيفيةٍ تنتجه صوتاً واحداً معييناً، مُغايِراً - إلى حد ما - لأصوات الجيم الأخرى...".<sup>2</sup> ومن هنا فإن إطلاق هذا المصطلح التراصي على هذا المفهوم أدق مما اختاره بعض الباحثـين من المصطلـحـات مثل: الصـوـنـمـ، والصـوـيـنـةـ... إلخ.<sup>3</sup>

هـ: الحـرـفـ بـمـعـنـىـ الـوـجـهـ الـأـدـائـيـ الـمـتـقـرـعـ عـنـ الـأـصـلـ: قال ابن جـنـيـ عنـ الـحـرـوفـ الـفـرعـيـةـ: "... وـلـاـ يـصـحـ أـمـرـ هـذـهـ الـحـرـوفـ الـأـرـبـعـةـ عـشـرـ الـلاـحـقـةـ لـلتـسـعـةـ وـالـعـشـرـينـ، حـتـىـ كـمـلـتـهاـ ثـلـاثـةـ وـأـرـبـعـينـ، إـلـاـ بـالـسـمـعـ وـالـمـاشـافـهـةـ...".<sup>4</sup> فـابـنـ جـنـيـ هـنـاـ لـاـ يـتـحـدـثـ عـنـ الـوـحـدـاتـ الـصـوتـيـةـ لـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ، وـإـنـماـ يـتـحـدـثـ عـنـ بـعـضـ الـكـيـفـيـاتـ وـالـوـجـهـوـهـ يـفـيـ تـحـقـيقـ تـلـكـ الـوـحـدـاتـ، وـالـتـيـ تـدـرـكـ بـالـسـمـعـ. وـالـلـسـانـيـوـنـ

<sup>1</sup>= ابن جـنـيـ - سـرـ الصـنـاعـةـ، جـ: 1، صـ: 28 - 29.

<sup>2</sup>= عبد الرحمن الحاج صالح - بـحـوـثـ وـدـرـاسـاتـ فيـ عـلـمـ الـلـسـانـ، صـ: 196.

<sup>3</sup>= انظر هذه المصطلـحـاتـ فيـ ماـ جـاءـ عـنـدـ: أـحـمـدـ مـحـمـدـ قـدـورـ - مـبـادـئـ الـلـسـانـيـاتـ، صـ: 142.

<sup>4</sup>= نفس المـصـدـرـ السـابـقـ، جـ: 1، صـ: 59.

العرب القدامى، إذا تحدثوا عن الحرف بهذا المفهوم يقيّدونه بلفظة أو بعبارة، فيقولون: "الحروف الفرعية" أو "الحروف المستحسنَة" ... إلخ.

و: **الحرف بمعنى الرمز الخطى**: قال الرضي الإستراباذى (ت:686هـ): "...وانما كتبوا المشدَّد حرفًا في الكلمة، للزوم جعلهما في اللفظ كحرفٍ بالتشديد، فجعلًا في الخط حرفًا لوجوب الإدغام بسبب تماثلهما..."<sup>1</sup>. يتحدث الرضي عن الحرفين المتماثلين، اللذين أدفع أحدهما في الآخر، وتلفظ بهما المتكلم باعتبارهما صارا مثل حرفٍ واحدٍ مشدَّدٍ، ويُحلل تمثيلهما برمز خطى واحد على مستوى الكتابة، بالتلفظ بهما باعتبارهما صوتاً واحداً مشدَّداً على مستوى النطق. وعبارتنا "كتبوا المشدَّد حرفًا" و"جعلًا في الخط حرفًا" تدلان على أنه يطلق مصطلح "الحرف" هنا على الرمز الخطى المكتوب، والملاحظ هنا أن الرضي الإستراباذى يُقيّد مصطلح "الحرف" بقوله: "جعلًا في الخط حرفًا".<sup>2</sup>.

ومما سبق يتبيَّن لنا أن الطرح الشائع لدى بعض المستشرقين، ومنتبعهم من الباحثين العرب، هو أن اللسانين العرب القدامى لم يُفرِّقوا بين الوجه المنطوق والوجه المكتوب للغة، عند دراسة اللغة العربية، الأمر الذي جعل بعض المفاهيم – في نظرهم – مُلْتَبِسَة، مثلاً عدم تفريقيهم بين مفهومي الوحدة الصوتية المجردة، والصوت اللغوى المحقق في الواقع الكلام، وبين العنصر الصوتى والرمز الخطى الذى يمثله في الكتابة، ويرون أن التمييز بين هذه المفاهيم لم يُعرف إلا في الدراسات اللسانية الغربية الحديثة. ويستدلُّون على ذلك، بإطلاق اللسانين

<sup>1</sup>= الرضي - شرح الشافية، ج: 3، ص: 226.

<sup>2</sup>= وهذا ما وضحه الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في قوله: "...أما العرب قديماً فما كان يشتبه عليهم هذا الأمر، وكلما أراد اللغوي منهم الجانب الخطى نبه على ذلك، وقال مثلاً: "أما صورة الحرف في الخط"، أو "هذا موجود لفظاً وخطاً..." (بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص: 50 - 51، هامش رقم 4).

## العرب القدامى مصطلح "الحرف" على الصوت، وعلى الرمز الخطى في الوقت ذاته.

غير أن الرجوع إلى المصادر القديمة والتمعن في أقوال اللسانيين العرب القدماء - متقدميهم ومتأخريهم - يجعل هذه المزاعم تتهاوى أمام الحقائق العلمية، التي وصل إليها القدماء، فقد وجدنا أنهم ميروا - بوضوح تام - بين النطق الذي سموه **اللطف**، وبين الكتابة التي سموها **الخط**، لا في اللغة العربية فحسب، بل حتى في اللغات الأجنبية التي عرفوها، ونصوا على أصالة النطق وفرعية الكتابة، كما عرفوا أيضا الفرق بين مفهومي الوحدة الصوتية المجردة، والصوت المسنون في الكلام، والرمز الخطى الذي يمثل الوحدات الصوتية دون الفروع، بصورة لا تختلف كثيراً عمّا أثبتته اللسانيات الحديثة، وأطلقوا على هذه المفاهيم مصطلح "الحرف" على سبيل الاشتراك الاصطلاحي، وقد نبه العلماء والباحثون قدি�ماً وحديثاً على اشتراك هذه المفاهيم في هذا المصطلح، فهو يدل في تراثنا اللساني على العنصر اللغوي عموماً، وفي الصوتيات المستعملة - بالإطلاق - بدون تقييده بلفظ أو عبارة محددة - ليدل على العنصر الصوتي، فإن أرادوا به الوجه الصوتي الفرعى، أو الرمز الخطى الكتابى قيدهما بما يحدده، فقالوا: **الحرف الفرعى أو الحرف المستعمل**، أو **الحرف المكتوب**، أو **الحرف في الخط**، للتمييز بين المفاهيم المتعددة، التي يدل عليها هذا المصطلح. مما يدل على أن المفاهيم كانت واضحة في أذهانهم، وإن اختاروا للدلالة عليها مصطلحاً واحداً.

### ثبت المصادر والمراجع

#### أولاً: المصادر.

- الإسترابادى (رضي الدين محمد بن الحسن ) (ت: 686هـ) - شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزفراوى، ومحمد محب الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط: 1، 1426هـ، 2005م.

- ابن جني (أبو الفتح عثمان) (ت:392هـ) - سر صناعة الإعراب، تحقيق محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:2، 1428هـ، 2007م.
- ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين الأنصاري) (ت: 761هـ) - شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ط:13، دت.
- ابن منظورأ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ) (ت: 711هـ) - لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط:1، 1997م.
- ابن يعيش (مؤقّد الدين يعيش بن علي ) (ت: 643هـ) - شرح المفصل، طبع ونشر إدارة الطباعة المتirية، مصر، دط، دت.
- ابن سيده (علي بن إسماعيل ) (ت:458هـ) - المخصص دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان دط، دت.
- ابن سينا (أبوعلي الحسين بن عبد الله) (ت:428هـ) - أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسان الطيان، ويحيى مير علم، تقديم ومراجعة الدكتور شاكر الفحام، وأحمد راتب النفاخ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط:1، 1403هـ، 1983م.
- ابن القاصح (أبو القاسم علي بن عثمان) (ت: 801هـ) - سراج القارئ المبتدئ وتذكارات المقرئ المنتهي، ضبط وتصحيح محمد عبد القادر شاهين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:2، 1425هـ، 2004م.
- ابن قتيبة(أبو محمد عبد الله بن مسلم)(ت: 276هـ) - أدب الكاتب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دط، دت.
- ابن تيمية ( تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ) (ت: 728هـ) - مجموع الفتاوى، مج:12 جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم، طبع مُجَمَعُ الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، 1425هـ، 2004م.

- **الجاحظ** (أبو عثمان عمرو بن بحر) (ت:255هـ) – **البيان والتبيين**، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:7، 1418هـ، 1998م.
- **الجرجاني** (علي بن محمد الشريفي) (ت: 816هـ) – **كتاب التعريفات**، مكتبة لبنان، بيروت، ط:1، 1985م.
- **الجاريردي** (أحمد بن الحسين بن يوسف) (ت: 746هـ) – **مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط**، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط:3، 1404هـ، 1984م.
- **الدانبي** (أبو عمرو عثمان بن سعيد) (ت: 444هـ) – **المحكم في نقط المصايف**، تحقيق عزة حسن، دار الفكر، دمشق، ط:2، 1418هـ، 1997م.
- **الكافوي** (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني) (ت: 1094هـ) – **الكليات**، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط:2، 1419هـ، 1998م.
- **مكي** (أبو محمد بن أبي طالب القيسي) (ت: 437هـ) – **الرعاية لتجويد القراءة وتحفيظ لفظ التلاوة**، تحقيق أحمد حسن فرات، دار عمار، عمان، ط:3، 1417هـ، 1996م.
- **سيبويه** (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) (ت: 180هـ) – **الكتاب**، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط:1، دت.
- **التهانوي** (محمد علي بن علي بن محمد) (ت: 1158هـ) – **كشاف اصطلاحات الفنون**، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:2، 1427هـ، 2006م.
- **الخليل بن أحمد الفراهيدي** (ت: 175هـ) – **ثلاثة كتب في الحروف للخليل وابن السكري والرازي**، تحقيق رمضان عبد التواب، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:2، 1415هـ، 1995م.

- ثانياً: المراجع:

- أحمد محمد قدور - مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط:3، 1429هـ، 2008م.
- مصطفى حركات - الصوتيات والфонولوجيا، دار الأفاق، دط، دت.
- سامي عياد حنّا، وكريم زكي حسام الدين، ونجيب جريس - معجم اللسانيات الحديثة إنكليزي - عربي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط:1، 1997م.
- عبد العزيز الصيغ - المصطلح الصوتي في الدراسات القرآنية، دار الفكر، دمشق، ط:1، 1421هـ، 2000م.
- عبد العلي المسؤول - معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط:1، 1428هـ، 2007م.
- عبد الرحمن الحاج صالح - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج:2، موقم للنشر، الجزائر، 2007م.
- (\_\_\_\_) - بحوث ودراسات في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، موقم للنشر، الجزائر، 2007م.
- (\_\_\_\_) - منطق العرب في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2007م.
- (\_\_\_\_) - السمع اللغوي ومفهوم الفصاحة، موقم للنشر، الجزائر، 2007م.
- (\_\_\_\_) - قاموس اللسانيات (مخطوط).
- تمام حسان - اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط:5، 1427هـ، 2006م.
- خليل إبراهيم العطيه - في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الباحث للنشر، بغداد، دط، 1403هـ، 1983م.
- خانم قدوري الحمد - المدخل إلى علم أصوات العربية، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، دط، 1423هـ، 2002م.

- 
- Dubois. Jean (et autres) –Dictionnaire de linguistique et des science du langue , Larousse. Paris : 1994.
  - Galisson.R/Coste.D – Dictionnaire de didactique des langue, Hachette.Paris : 1976.
  - Troubetzkoy.N.S – Principes de phonologie traduit par : J.Cantineau , Klincksieck. paris :1976.